لهم من جلابيب غفلتهم كانهم كانوا من الغفلة والذهول في لباس نزع عنهم قال استقبلوا مدبرًا اي استقبلوا امرًا كان في
ظنهم واعتقادهم مدبرًا عنهم وهو الشقاء والعذاب واستدبروا مقبلًا تركوا وراء ظهورهم ما كانوا خولوه من الاولاد
والاموال والنعم وفي قوة هذا الكلام ان يقول عرفوا ما انكروه وانكروا ما عرفوه وروى احذركم ونفسي هذه المزلة مفعلة
من الزلل وفي قوله ونفسي لطافة ورشاقة وذلك لانه طيب قلوبهم بان جعل نفسه شريكة لهم في هذا التحذير ليكونوا
الى الانقياد له اقرب وعن الاباء والنفرة ابعد بطريق جدد لاحب والمهاوي جمع مهواة وهي الهوة يتردى فيها والمغاوي
جمع مغواة وهي الشبهة التي يغوى بها الناس اي يضلون ثم فصل الامور التي يعين بها الانسان ارباب الضلال على نفسه
وهي ان يتعسف في حق يقوله او يأمر به فان الرفق اليمن وان يحرف المنطق فان الكذب لا يثمر خيرًا وان يتخوف من الصدق
في ذات الله قال سبحانه اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله فذم من لا يصدق ويجاهد في الحق قوله واختصر
من عجلتك اي لا تكن عجلتك كثيرة بل اذا كانت لك عجلة فليكن شيئًا يسيرًا او يقول انعمت النظر في كذا اي دققته
من قولك انعمت سحق الحجر وقيل انه مقلوب امعن والنبي الامي اما الذي لا يحسن الكتابة او المنسوب الى ام القرى
وهي مكة ولا محيص عنه ولا مفر ولا مهرب حاص اي تخلص من امر كان نشب فيه قوله فان عليه ممرك اي ليس القبر
بدار مقام وانما هو ممر وطريق الى الاخرة وكما تدين تدان اي كما تجازي غيرك تجازى بفعلك وبحسب ما عملت ومنه
قوله سبحانه انا لمدينون اي مجزيون ومنه الديان في صفة الله تعالى قوله وكما تزرع تحصد معنى قد قاله الناس بعده
كثيرًا قال الشاعر اذا انت لم تزرع وادركت حاصدًا ندمت على التفريط في زمن البذر ومن امثالهم من زرع شرًا
حصد ندمًا فامهد لنفسك اي سوِّ ووطِّ ولا ينبئك مثل خبير من القران العزيز اي ولا يخبرك بالامور احد على حقايقها
كالعارف بها العالم بكنهها **الاصل** ان من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه
لا ينفع عبدًا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج من الدنيا لاقيًا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها
ان يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته او يشفي غيظه بهلاك نفس او يقر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى
الناس باظهار بدعة في دينه او يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان
البهائم همها بطونها وان السباع همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد
فيها ان المؤمنين مستكينون ان المؤمنين مشفقون ان المؤمنين خائفون **الشرح** عزائم الله هي موجباته
والامر المقطوع عليه الذي لا ريب فيه ولا شبهة قال ع ان من الامور التي نص الله تعالى عليها نصًا لا يحتمل التاويل وهي
من العزائم التي يقطع بها ولا رجوع فيها ولا نسخ لها ان من مات وهو على ذنب من هذه الذنوب المذكورة ولو اكتفى بذلك
عليه السلم لاغناه عن قوله لم يتب الا انه ذكر ذلك تاكيدًا او زيادة في الايضاح فانه لا ينفعه فعل شيء من الافعال الحسنة ولا
الواجبة ولا تفيده العبادة ولو اجهد نفسه فيها بل يكون من اهل النار والذنوب المذكورة هي ان يتخذ مع الله الهًا
آخر فيشركه في العبادة او يقتل انسانًا بغير حق بل ليشفي غيظه او يقذف غيره بامر قد فعله هو عرّض بذكر العزة اي
عائشة ولطخه او يروم بلوغ حاجة من احد باظهار بدعة في الدين كما يفعل اكثر الناس في زماننا او يكون ذا وجهين
وهو ايضًا قوله او يمشي فيهم بلسانين وانما اعاده تاكيدًا لما نصب معوية ابنه يزيد لولاية العهد اقعده في قبة حمراء
وادخل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى قبة يزيد فيسلمون عليه بولاية العهد حتى جاء رجل ففعل ذلك
ثم رجع الى معاوية فقال يا امير المومنين اما انك لو لم تول هذا امور المسلمين لاضعتها وكان الاحنف جالسًا فلما
خف الناس قال معوية ما لك لا تقول يا ابا بحر قال اخاف الله ان كذبتك واخافك ان صدقتك فما ذا اقول فقال
جزاك الله عن الطاعة خيرًا وامر له بصلة جزيلة فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال يا ابا بحر اني لاعلم ان شر من
خلق الله هذا الرجل ولكن هؤلاء قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في استخراجها الا
بما سمعت فقال يا هذا امسك عليك فان ذا الوجهين خليق ان لا يكون وجيهًا عند الله غدًا ثم امر ع بان يعقل
ما قاله وان يعلم باطن خطابه وانما رمز بباطن هذا الكلام الى الرؤساء يوم الجمل لانهم حاولوا ان يشفوا غيظهم باهلاك

مقام

واهلاك غيره من المسلمين وعرّضوا ع بامرهم فعلوه وهو التأليب على عثمان وحصره واستنجحوا حاجتهم الى اهل البصرة
باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لانهم بايعوه واظهروا الرضا به ثم دبوا فجعل ذنوبهم هذه
مماثلة للشرك بالله سبحانه في انها لا تغفر الا بالتوبة وهذا معنى قوله اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه وروي
فان المثل واحد الامثال اي هذا الحكم بعدم المغفرة لمن اتى شيئًا من هذه الاشياء عام والواحد منها دال على
ما يماثله ويشابهه فان قلت فهذا تصريح بمذهب الامامية في طلحة والزبير وعائشة قلت كلا فان هذه الخطبة
خطب بها وهو سائر الى البصرة ولم يقع الحرب الا بعد تعدد الكبائر ورمز فيها الى المذكورين وقال ان لم يتوبوا
وقد ثبت انهم تابوا والاخبار عنهم بالتوبة كثيرة مستفيضة ثم اراد ع ان يومي الى ذكر النساء للحال التي كان وقع
اليها من استنجاد اعاديه بامرأة فذكر قبل ذكر النساء انواعًا من الحيوان تمهيدًا لقاعدة ذكر النساء فقال ان
البهائم همها بطونها كالحمر والبقر والابل والغنم وان السباع همها العدوان على غيرها كالاسود الضارية والنمور
والفهود والبزاة والصقور ثم قال وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها نظر حكيم الى امرأة مصلوبة
على شجرة فقال ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة ومرت امرأة بسقراط وهو يتشرق في الشمس فقالت ما اقبحك
ايها الشيخ فقال لولا انكن من المرائي الصدية لغمني ما بان من قبح صورتي فيكن ورأى حكيم امرأة تعلم الكتابة
فقال سهم يسقى سمًا ليرمى به يومًا ما ورأى بعضهم جارية تحمل نارًا فقال نار على نار والحامل شر من المحمول قيل
لسقراط اي السباع احسن قال المرأة وتزوج بعضهم امرأة نحيفة فقيل له في ذلك فقال اخترت من الشر اقله ورأى
بعض الحكماء امرأة غريقة قد احتملها السيل فقال زادت الكدر كدرًا والشر بالشر يهلك ثم ذكر ع خصائص المؤمن
فقال ان المؤمنين مستكينون استكان الرجل اي خضع وذل ان المؤمنين مشفقون التقوى رأس الايمان كما ورد
في الخبر ثم قال ان المؤمنين خائفون هو الاول وانما اكده والتاكيد مطلوب في باب الخطابة **الاصل** ومن خطبة
له عليه السلام وناظر قلب اللبيب به يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا
الراعي **الشرح** يقول ان قلب اللبيب له عين يبصر بها غايته التي يجري اليها ويعرف من احواله المستقبلة ما كان
مرتفعًا شريفًا او منخفضًا ساقطًا والنجد المرتفع من الارض ومنه قولهم للعالم بالامور طلاع انجد ثم قال داع دعا وراع
داع رفع لانه مبتدأ محذوف الخبر تقديره في الوجود داع دعا وراع رعى ويعني بالداعي رسول الله صلعم وبالراعي نفسه ع
الاصل قد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون المكذبون نحن
الشعار والاصحاب والخزنة والابواب ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقًا
الشرح هذا الكلام متصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه الله وهو ذكر قوم من اهل الضلال قد كان اخذ في ذمهم و
نعى عليهم عيوبهم وارز المؤمنون اي انقبضوا والمضارع يأرز بالكسر ارزًا وارزوًا ورجل اروز اي منقبض وفي
الحديث ان الاسلام ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها اي ينضم اليها ويجتمع ثم قال نحن الشعار والاصحاب
يشير الى نفسه وهو ابدًا يأتي بلفظ الجمع ومراده والشعار ما يلي الجسد من الثياب فهو اقرب من سايرها اليه ومراده
الاختصاص برسول الله صلعم والخزنة والابواب يمكن ان يعنى به خزنة العلم وابواب العلم لقول رسول الله صلعم
انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد الحكمة فليأت الباب وقوله فيه خازن علمي وقال تارة اخرى عيبة علمي ويمكن
ان يريد به خزنة الجنة وابواب الجنة اي لا يدخل الجنة الا من وافى بولايتنا فقد جاء في حقه الخبر الشائع المستفيض
انه قسيم النار والجنة وذكر ابو عبيد الهروي في الجمع بين الغريبين ان قومًا من ائمة العربية فسروه فقالوا لانه
لما كان محبه من اهل الجنة ومبغضه من اهل النار كان بهذا الاعتبار قسيم النار والجنة قال ابو عبيد وقال غير
هؤلاء بل هو قسيمها بنفسه في الحقيقة يدخل قومًا الى الجنة وقومًا الى النار وهذا الذي ذكره ابو عبيد اخيرًا هو ما يطابق
الاخبار الواردة فيه يقول للنار هذا لي فدعيه وهذا لك فخذيه ثم ذكر ان البيوت لا تؤتى الا من ابوابها قال الله تعالى
وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها ثم قال من اتاها من غير ابوابها

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)